

اللحظة ، والتف من وراء جيش المسلمين .

إن السيطرة على الأعصاب في اللحظات الحرجة والمواقف الحاسمة أمر لا يستطيعه كل انسان . واضطراب النفس يفقد العقل توازنه وقدرته على المحاكمة السليمة واتخاذ القرارات الصحيحة . أما محمد بن عبد الله ﷺ فقد كان مثلاً مدهشاً في هذه الناحية . لقد سيطر على أعصابه يوم أحد فحال دون إبادة جيش المسلمين الفتى ، وجعل الأعداء ينسحبون بنصر توهموه نصراً . وسيطر على أعصابه يوم حنين فقلب الهزيمة في أول المعركة إلى نصر في آخرها . وسيطر على أعصابه في غزوة الأحزاب ، عندما حاصر المدينة عشرة آلاف مقاتل من مشركي القبائل المختلفة فاستطاع بهدوئه ، ورباطة جأشه ، منعهم من تحقيق أي هدف ، صغيراً كان أو كبيراً .

والسيطرة على النفس في حالات النصر ولجم الانفعالات على أنواعها قد يكون أصعب من السيطرة عليها في حالات الهزيمة . فكم من قائد قتله غروره بانتصارات وهمية . أما محمد بن عبد الله ﷺ فقد فتح مكة ، وليس أقدر منه على تقدير أهمية ذلك النصر ، ومع ذلك فقد رآه الناس يدخل مكة حاني الرأس حشوعاً لله وتواضعاً لعباده ، لم يغره نصر ولم يدفعه انفعال لانتقام ، ولم يعرف حقد إلى نفسه سبيلاً .

٧ - بُعد النظر وصحة التوقعات :

عندما انكفأت الأحزاب عن المدينة بعد غزوة الخندق . قال الرسول للمسلمين : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم »^(١) . لقد لخص في هذه الجملة ، بسا أوتي من بعد نظر وحسن

(١) البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق . وللتوسع في الموضوع راجع : خليل ، دراسة في السيرة ، ص ٢١٨ وما بعدها .